الرؤية الاستشرافية في الخطاب الإصلاحي الجزائري (قراءة في الأسس النظرية ،فكر مالك بن نبي أنموذجا)

The Forward-looking vision in in the Algerian reformist discourse (a reading in the theoreticol foundations Malik bin nabi as a model)

سرير حاج خيرة

كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإسلامية جامعة وهران أحمد بن بلة –1–

serirhadj6@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/12/25 تاريخ القبول: 2022/07/31 تاريخ النشر: 2022/10/08

ملخص:

تعتبر الدراسات الاستشرافية التي تربط بين الماضي و الحاضر بروابط السببية و تنبثق من فهم صحيح للوجود و الكون و الحياة الاساس الذي يقوم عليه كل خطاب اصلاحي يتطلع الى تخليص الواقع من مظاهر العجز و الركود و التأخر ،مثل هذه الرؤية نجدها تتجلى في الفكر الإصلاحي الجزائري و من ابرز اعلامه مالك بن نبي الذي اسس لنظريات محكمة في البناء و التغيير بناء على رؤية مستقبلية تقوم على تفسير صحيح للأحداث التاريخية وفقه للواقع و تبصر بمتطلبات الاعداد للمستقبل من خلال الإدراك الواعي للخصائص النفسية و السمات الاجتماعية و الأسس المعرفية و العقدية الداعمة للتطلعات المستقبلية.

كلمات مفتاحية: مالك بن نبي ،الرؤية الاستشرافية ، الخطاب الإصلاحي ،التغيير الاجتماعي.

Abstract: Forward-looking studies that link the past and the present with causal ties، and emanate from a correct understanding of existence, the universe and life are the basis upon which every reformist discourse that seeks to ridding reality from of the manifestations of impotence, stagnation and delay

Such a vision is evident in the Algerian reformist thought, and one of its most prominent figures is Malik Ben nabi, who established tight theories of construction and change ،with a future vision based on a correct interpretation of historical events, jurisprudence of reality, and insight into the requirements of preparation for the future through a conscious awareness of psychological characteristics and features. The social, cognitive, and doctrinal foundations that support future aspirations

Key word: malik ben nabi– Forward-looking vision- reform discourse.

1. مقدمة:

إن المتتبع للخطاب الإصلاحي الجزائري ممثلا في مدونات أعلام الفكر و الإصلاح في الوطن أمثال الشيخين عبد الحميد بن باديس و البشير الابراهيمي ، و مبارك الميلي ،و العربي تبسي و مالك بن نبي و غيرهم كثير ،ليقطع ببنائه على أساس من النظر في الأمور قبل نزولها و معاينة نهايتها في بداياتها لارتباطها بالمنظومة السببية ،حيث تتعلق المقدمات بالنتائج و العلل بالمعلولات ،و هو جوهر الرؤية الاستشرافية التي تصل الماضي و الحاضر و المستقبل بوشائج الأسباب و المسببات ،و جسور النظر و التوقع و المفاضلة ،لتحديد متطلبات البناء المستقبلية .على أساس من فهم للواقع ،و فقه للإمكانات و التحديات و على هدي من مقومات الهوية العقدية و الحضارية للأمة ،خاصة في ظل الظروف العصيبة التي مر بها الوطن إبان فترة الاحتلال ،حيث حاولت السياسة الاستعمارية اجتثاث المجتمع الجزائري من مقوماته الحضارية بالإفقار و التجهيل و التغريب ،و استنزاف الثروات المادية ،و التضييق على الابداع الفكري ، و تشجيع عقائد الجبر و الخنوع التي دعت إليها بعض الفرق ،إلا أن ذلك كله كان الشرارة التي أشعلت فتيل الثورة و رفعت رايات الخلاص و التجديد ،بالعودة إلى مصادر الهوية الإسلامية ،و هكذا كانت جهود الإصلاح تزرع بذور التغيير و ترنو إلى المستقبل ،على بصيرة بشروطه و مقوماته ،واستمرت الجهود بعد الاستقلال

حيث كان التحدي الأكبر الخلاص من مخلفات الاستعمار و آثاره على المستوى الفردي و الجماعي و على الصعيد الفكري والعملي ، في ظل الصراعات الأيديولوجية و التغييرات في الخريطة السياسية و الاقتصادية للعالم التي شكلت تحديا أكثر خطورة على الهوية الوطنية ،فضلا عن متطلبات التنمية و تفعيل الدور الحضاري في عالم يموج بالتغيرات ،و من هذه المنطلقات يبحث المقال أسس الرؤية الاستشرافية في الفكر الإصلاحي من خلال نموذج كان و لا يزال ملهما حيا لتجارب تنموية رائدة ،أسس لنظرياتها المعرفية و أبعادها التنزيلية في أطروحات عميقة جمعت بين الزمن و الفكر و الفعل و الحركة و الدافعية لتحقيق التفاعل الحضاري المراد في عمليات التغيير ،و هو فكر العلامة مالك بن نبي ،و هكذا بنيت الإشكالية على عمق هاته الرؤية في فكر مالك بن نبي و الأسس النظرية التي قامت عليها من خلال الاجابة عن الأسئلة الفرعية الآتية :

-ما حقيقة الرؤية الاستشرافية و ما أهميتها

-ما موقع الرؤية الاستشرافية في الخطاب الإصلاحي

-ما أهم الأسس النظرية التي قامت عليها الرؤية الاستشرافية في فكر مالك بن نبي

تحقيقا للأهداف الآتية :

-بيان أهمية الرؤية الاستشرافية تأسيسا على استجلاء كنهها و بيان آثارها على عمليات التخطيط و البناء

-وضع تصور نظري لأسس الرؤية الاستشرافية من خلال نموذج مختار و هو فكر مالك بن نبي

و الموضوع يكتسي أهمية بالغة لارتباطه بالخطاب الإصلاحي من جهة و بالدراسات الاستشرافية من جهة أخرى التي تمثل ضرورة معرفية تفرضها التحديات القائمة و المستقبلية ،أما اختيار فكر مالك بن نبي فقد كان الأنسب لتكامل الرؤية و عمق الطرح و شمولية التصور .

و قد انتخبت المنهج الاستقرائي و المنهج التحليلي حيث تتبعت كتب المؤلف و استخلصت القواعد الكلية المكونة للتصور المقترح مع البيان و التحليل .

مقسمة البحث إلى مقدمة و ثلاثة فروع

-الفرع الأول :تحديد المصطلحات

الفرع الثاني: أهمية الرؤية الاستشرافية و موقعها من الخطاب الإصلاحي

الفرع الثالث :أسس الرؤية الاستشرافية في فكر مالك بن نبي

2 :تحديد المصطلحات

1:2 مفهوم الرؤية الاستشرافية

:**الاستشراف في اللغة** : مأخوذ من الشرف وهو العلو ، و استشرفت الشيء رفعت البصر أنظر إليه ،[1]وعليه فهو يشير إلى التطلع .

أما في **الاصطلاح** :فيعرف بأنه محاولة منهجية منظمة تستند إلى مناهج و أدوات علمية معينة تيسر عملية الرصد المستقبلي ، بدرجة تعلو على التأملات و التخمين ،حيث التوجه بنظرة فلسفية توجه الإنسان نحو الزمن القادم و تمنحه رؤية ومفهوما عن التغيرات التي يمكن أن تطرأ على حياته ، ومن ثمة إمكانية وضع البدائل و الاختيار بينها لتوجيه الخطط الإنمائية في الوقت الراهن وفي المستقبل [2].وعليه تضع الرؤية الاستشرافية قاعدة معرفية تمكن من فهم التغيرات و المتطلبات من أجل الاختيار بين البدائل المطروحة ، فهو رؤية مستقبلية تتضمن توقعات يحتمل حدوثها و بدائل وخيارات وآمال يجري التطلع لتحقيقها بممارسة الفعل [3].

و يعرف كذلك بأنه التطلع إلى المستقبل من خلال دراسة الماضي و فهم الحاضر و السنن الفاعلة فيهما [4]،و لا يهدف الاستشراف إلى التكهن بتفاصيل أحداث المستقبل للأفراد أو المجتمعات ،لكنه مهارة عملية تهدف لاستقراء التوجهات العامة في حياة البشرية ،التي تؤثر بطريقة أو بأخرى في مسارات كل فرد و كل مجتمع .[5]

---

[1]-الفيومي ،أحمد ،(د.ت) ،ج1 ،ص3

[2]-الخواجة ،عبد الفتاح ،ص22

[3]-الدجاني ،أحمد صدقي ،سنة2001 ،ص17.

[4]-فارس،طه ،2014 ، ،ص12.

[5]-كورنيش أادوارد ،2007 ،ص13 ،مقدمة المترجم.

2:2:حقيقة الخطاب الديني :يتوقف درك المقصود بالخطاب الديني كمركب إضافي على الوقوف على مدلول مفرديه الخطاب والدين:

-الخطاب :وردت مادة (خ،ط،ب) في اللغة دالة على جملة من المعاني منها الخطب و الشأن و مراجعة الكلام ،يقول ابن فارس :"الخاء و الطاء و الباء أصلان أحدهما الكلام بين اثنين يقال خاطبه يخاطبه خطابا و الخطبة من ذلك ...، و الخطب الأمر يقع ، و إنما سمي بذلك لما يقع فيه من التخاطب و المراجعة "[1] ، و يقول صاحب اللسان :"الخطب : الشأن أو الأمر صغر أو عظم ، وقيل هو سبب الأمر ...و الخطاب و المخاطبة مراجعة الكلام "[2]

أما اصطلاحا :فقد تعددت تعريفات العلماء للخطاب إلا أنها لم تخرج عن كونه الكلام الموجه نحو الغير للإفهام ، جاء في كليات الكفوي :"الخطاب اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه " احترز باللفظ عن الحركات و الإشارات المفهمة بالمواضعة ،و بالمتواضع عليه عن الألفاظ المهملة ، و بالمقصود به الإفهام عن كلام لم يقصد به إفهام المستمع فإنه لا يسمى خطابا ، و بقوله لمن هو متهيئ لفهمه عن الكلام لمن لا يفهم كالنائم [3]، وقريب من ذلك تعريف الجرجاني للخطاب بأنه "توجيه الكلام نحو الغير للإفهام "[4].

وبناء على ما تقدم يمكن تحديد عناصر الخطاب على النحو الآتي :

- وجود طرفي الخطاب ، المرسل و المرسل إليه ، أو المخاطَب والمخاطب ، ويستوي في ذلك الحاضر
- و المستحضر ، فلا يقتصر توجيهه إلى المخاطب الحاضر عيانا ، بل يتجاوز توجيهه إلى المخاطب الحاضر في الذهن.[5]
- الكلام المتلفظ به و يستوي في ذلك الخطاب بشقيه المكتوب و الشفهي .[1]

---

[1] – بن فارس ، أحمد ، 1979 ،ج2 ، ص198.

[2] – ابن منظور ،جمال الدين ، المجلد 2 ، ج9 ، ص1194.

[3] – الكفوي ، أبو البقاء ، 2011 ، ص349

[4] – الجرجاني ،الشريف ، ، ص163.

[5] – الشهري ،عبد الهادي ، 2004 ، ص39.

– الاصطلاح و التواضع : أي أن يكون الخطاب استعماليا قد جرى على ما تقتضيه اللغة .

قصد الإفهام : فما لم يقصد به إفهام المخاطب لا يسمى خطابا .[2]

–**الدين**:الدين في اللغة يأتي على جملة من المعاني أهمها :الذل و الانقياد و الجزاء و العادة و الدين الإسلام

يقول ابن فارس :الدال و الياء و النون أصل واحد إليه يرجع فروعه كلها ، و هو جنس من الانقياد و الذل فالدين الطاعة يقال دان له يدين دينا إذا انقاد و طاع[3]، و الدين الجزاء و المكافأة و دنته بفعله دينا جزيته و يوم الدين يوم الجزاء،و الدين العادة و الشأن تقول العرب مازال ذلك ديني و ديدني أي عادتي ،و الدين الإسلام.[4]

أما في الاصطلاح فهو: مجموع الأحكام التي شرعها الله عز و جل على لسان نبي من أنبيائه تحقيقا لمصالح الناس في المعاش و المعاد

و عليه يمكن أن نعرف الخطاب الديني بأنه :جملة المفاهيم و الرؤى المتعلقة بتبليغ مراد الشارع تأصيلا و تنزيلا على واقع المكلفين ، مع الاحتكام إلى السنن التشريعي ، من حيث مناهج الفهم و التحليل و التركيب و الاستدلال تدوينا و تحقيقا .

–تعريف الإصلاح

لغة: الإصلاح مشتق من فعل صلح والصلاح ضد الفساد ،قال ابن فارس :الصاد و اللام و الحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد[5]

اصطلاحا:

عرفه الشيخ عبد الحميد بن باديس بأنه :إرجاع الشيء إلى حالة اعتداله بإزالة ما طرأ عليه من فساد [1] ،

---

[1] – المرجع نفسه ،ص39.

[2] – بوصبيعات ،أحمد ،2012،ص15.

[3]–ابن فارس ،أحمد،1979 ،ج2 ،ص319.

[4]– ابن منظور ،جمال الدين ، 1414هـ ،ج1،ص368.

[5]–ابن فارس ،أحمد ،1979 ،ج3 ،ص303.

و أشار في موضع آخر إلى أنه:معالجة الأدواء الحاصلة في العالم الإسلامي بقطع سبلها و اجتثاث أصلها [2] ،أما مالك بن نبي فيرى أن جوهر الإصلاح قائم على دفع النفس الإنسانية إلى حظيرة الإيمان من جديد [3]،و المراد به في هذا المقام **تنقية واقع الفكر و العمل و الاعتقاد من الشوائب العالقة و الانحرافات الحاصلة بالرد إلى الأصول التشريعية من الكتاب و السنة الأمر الذي أجمع عليه دعاة الإصلاح الديني** .

بناء على ما تقدم يمكن أن نعرف الرؤية الاستشرافية في الخطاب الاصلاحي ، بأنها التصور الذي يحمله الخطاب للمستقبل ،وتتضمن توقعات يحتمل حدوثها كاستمرار للحركة التي تحكم الواقع القائم ، و بدائل وخيارات ،و آمال يجري التطلع لتحقيقها بالممارسة العملية.

3:أهمية الرؤية الاستشرافية وموقعها في الخطاب الاصلاحي :

3:1:أهمية الرؤية الاستشرافية :يمكن أن نجمل أهمية الرؤية الاستشرافية فيما يأتي :

-**اكتشاف المشكلات قبل وقوعها** :ومن ثمة التهيؤ لمواجهتها ، والحيلولة دون وقوعها ، فقد أصبح من الواضح في ظل التعقيد الذي عاشته الأمة و تعيشه ،قصور علاج المشكلات عن طريق ردود الأفعال ، و الاستجابة للمثيرات متى ظهرت، ففي كثير من الأحيان يكون رد الفعل قليل الجدوى و تكون المشكلة قد استفحلت [4].

و عليه تقوم الرؤى الاستشرافية بمهمة الإنذار المبكر الذي يمنحنا القدرة على الاستعداد لمواجهة المشكلات و علاجها .[5]ومن ثمة يحصل الارتقاء بالخطاب الاصلاحي من مستوى حل المشكلات إلى مستوى الدرء والدفع .

2.1:القدرة على التخطيط السليم والإعداد للمستقبل :

---

[1]-ابن باديس ،عبد الحميد ، 1995،ص73

[2]- المرجع نفسه ،ص339

[3]-بن نبي ،مالك ،شروط النهضة ، 1986،ص58.

[4]-الخواجا ،عبد الفتاح ، ،مرجع سابق ،ص88.

[5]-لوصيف ،عمار ، 2015،ص260.

إن الرؤية الاستشرافية يمكن أن تسهم بشكل كبير في ترشيد عمليات التخطيط ، لما توفره من قاعدة معرفية تمكن الفرد من بلورة اختياراته الممكنة والمتاحة و المفاضلة بينها .[1]ذلك أن الخطاب الذي لا يستطيع تجاوز اللحظة الراهنة،ليس قادرا على التكيف مع متطلبات المستقبل فضلا على أنه قد يفشل في فهم الواقع و التبصر بمتطلباته ،وهكذا كان هذا التوجه منهجا في النظر و البناء يؤسس لتهيئة البنى التحتية الكفيلة بالإعداد للتوجه الحضاري انطلاقا من **الحاضر و استعدادا للآتي بمنطق الفهم و الفعل و الإرادة** .

–تحقيق الحركة الاجتماعية :ويؤكد على ذلك قسطنطين زريق في كتابه نحن و المستقبل حيث يقول :الدينامية الاجتماعية مرتبطة بالوعي التاريخي ماضيا و حاضرا ومستقبلا ، وهذه الدينامية هي أقوى وأفعل في الأدوار التي تتجه فيها الشعوب نحو مستقبلها و تمضي في صنع هذا المستقبل بالتساؤل و الريادة والانجاز[2].

2:3 :موقعها في الخطاب الإصلاحي : الرؤية الاستشرافية في الخطاب الإصلاحي هي تلك الرؤية المآلية التي تتجاوز الحاضر لتصل الأزمنة الثلاث بوشائج النظر و المعرفة و التحليل للكشف عن العلاقات القائمة بين الأحداث الماضية و الراهنة ،و الصور المحتملة لوقائع المستقبل ،بأدوات التجربة و فقه السنن المطردة في ربط الأسباب و المسببات ،و انطلاقا من المنهج القرآني و النبوي في الفهم و البيان و الاستدلال ،الأمر الذي يمكن الإفادة منه في توصيف الواقع و طلب ما يصلح لإقامة اعوجاجه و استشفاف المستقبل وفهم طبيعة الأحداث التي يمكن أن يحملها، متى توافرت القرائن والمقدمات التي يمكن الاستدلال من خلالها على مثل تلك الأحداث. وما يتطلبه هذا المستقبل من بناء وإعداد، و ذلك من خلال التبصر بأحوال المسلمين ،و الإدراك السليم لأسباب العلل و مكامن الخلل و طرائق المداواة بالرد إلى التزام المنهج القويم و المحجة البيضاء التي لا زيغ فيها و لا اعوجاج،خاصة في ظل مانراه من ضعف للحس السببي تجاه مظاهر الطبيعة و ظواهر الاجتماع ،و ذلك ما هو مترجم بصفة جلية في ضرب من الزهادة في الكشف عن السنن الإلهية في الأنفس و الآفاق مما يؤدي إلى عدم القدرة على

[1]–زاهر ،ضياء الدين ،2004 ،ص22.

[2]–زريق ،قسطنطين ،1977،ص21

التفسير الحقيقي لكثير من الظواهر الاجتماعية ،و تصحيح الفهم السقيم لعقيدة القضاء و القدر بفقه السنن و علاقة الأسباب بالمسببات ،لأن فهما خاطئا من شأنه أن يقيد حركة الفكر و السلوك و يتردى بحركية الفرد و الجماعة .يقول مالك بن نبي في ضرورة البناء المستقبلي ،و الدور الحضاري للأمة :"

فنحن أمام هذا الأفق من المستقبل الذي سيصبح فيه جيلنا من الماضي، ولا بد مع ذلك أن ينصرف الاهتمام إلى المساهمة في بناء هذا العالم الذي سيأتي، وأن نشير في الحدود الجغرافية التي هي لعالمنا إلى تلك الفجوات الخطيرة التي نعرفها جيدا؛ إلى ذلك الفراغ الروحي وتلك المباذل الطاغية على سطح المجتمع والتي لا بد من إزالتها وتعقيم الأرض منها قبل أن يوضع عليها أسس البناء الجديد"[1].

4:أسس الرؤية الاستشرافية عند مالك بن نبي :ان المتتبع لكتابات مالك بن نبي لا بد أنه سيقف على رؤية مجاوزة تعالج الراهن بعين النقد و الفكر و التبصر ،و تتطلع إلى الآتي بفقه لتحدياته و ضروراته ،إلا أنه يمكن أن نجمل الأسس التي قامت عليها مثل هذه الرؤية فيما يلي :

4:1:التفسير الصحيح للأحداث التاريخية :

النظر إلى الأحداث التاريخية وفق المنظومة السننية ومن خلال ربط الأسباب بمسبباتها و النتائج بمقدماتها ،في فكر مالك بن نبي يمكننا من فهم المسؤوليات تجاه الأحداث الراهنة ومتطلبات التحديات المستقبلية ،بل إن كل قطعة من التاريخ العربي تدلنا على مواطن الضعف في مجتمعنا حتى يمكننا أن ندخل التعديل المناسب في المعادلة الشخصية [2]،ذلك أننا بقدر ما ندرك الأسباب و نقيسها بالمقياس الصحيح نجد فيها منبهات الارادة و موجهات النشاط ،

و بقدر اكتشافنا لأسرارها يرى بن نبي أننا يمكن أن"نسيطر عليها بدل أن تسيطر علينا ،فنوجهها نحن

و لا توجهنا هي لأننا حينئذ نعلم أن الأسباب التاريخية كلها تصدر عن سلوكنا و تنبع من أنفسنا من إرادتنا في تغيير الأشياء تغييرا يحدد وظيفتنا الاجتماعية "،مستشهدا بقوله تعالى : {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ

[1]- بن نبي مالك ،وجهة العالم الإسلامي ،2012،ص33

[2]-بن نبي ،مالك،تأملات ، 1979،ص183

أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} ،آل عمران ،110،و المعروف في أعم صوره و المنكر في أشمل معانيه يكونان جوهر الأحداث التي تواجهنا يوميا كما يكونان لب التاريخ .[1] إن مثل هذا المنهج في النظر التاريخي يمكننا من تجاوز النظرة الجبرية التي توهم بالاستسلام و الخنوع للظروف ومسايرة الأحداث ،و تدخل الفرد و المجموع في دائرة الفعل و في نطاق المشيئة الالهية بدل الانحصار في دائرة الانتظار ،

و يمكن أن نجزم بإجماع الخطاب الاصلاحي على هذه الرؤية التي ترتقى بالفعل و الارادة من الخنوع

و الانهزامية –التي حاولت السياسة الاستعمارية بثها في النفوس –إلى البناء الحضاري .وما ينبغي التنبيه إليه ضرورة قراءة الأحداث التاريخية بصفتها أفعال و ردود أفعال بين عوامل اجتماعية و نفسية معينة ،مما يتطلب دراسة معمقة و فحصا بالجهد الدقيق، ذلك أن القراءة التجزيئية العابرة لا يمكن أن توصلنا إلى تحقيق شروط الفاعلية كما أن فهمنا لطبيعة العامل الانساني يمكننا من التفريق بين الظروف التي يكون فيها محركا للتاريخ أو مستسلما لحالة السكون [2].

2:4:فهم الواقع : يعتبر فهم الواقع من الأسس التي تبنى عليها كل رؤية استشرافية تتجاوز الراهن و لكن لا تلغيه ذلك، أنه قاعدة البناء و أرضية التخطيط و الإنجاز ،و لا يمكن بلوغ مقاصد التغيير اللاحقة إلا بفهم السائد من التصورات و المدارك و التصرفات على مستوى الفرد و الجماعة خاصة ما يتعلق بالعوامل المثبطة ،ذلك إن إدراك الداء و تصوره أول مراحل العلاج و كل قصور في الفهم يلزم عنه لا محالة قصور في الفعل و البناء .و من المستويات التي يشملها فقه الواقع و التي حازت اهتماما كبيرا لدى مالك بن نبي

[1]–المرجع نفسه ، ص130

[2]–المرجع نفسه ،ص134.

4:2-1- مستوى الاعتقاد : يصف صاحب شروط النهضة حالة الشعب الجزائري إبان الاحتلال من حيث انتشار العقائد الفاسدة الداعية إلى السلبية و تحجيم التطلعات المستقبلية فيقول :"وكان الشعب الجزائريُّ يعيش في بلاد سُدَّ فيها المستقبل أمامه، حيث كان الفرد يولد والتشاؤُم يملأُ أعماقه وروحه، لأنه كان يفقد الدوافع الوجودية الباعثة التي تتيح للإنسان أن يُكَرِّسَ نفسَه للحياة أو الموت من أجل شيءٍ معيَّن.ففي المرحلة التي سبقت عَهْدَ اسْتعمار الجزائر، اكتفى الإنسان بمجرد الحياة الخاملة، واختلق له، لكي يُغالِطَ نفسَه بالنسبة إلى وضعه البائس، ضروباً من التَّعِلاّت الصوفيَّة الكاذبة كان يُقِيمُها مقامَ الدَّوافع المعلِّلَة." ،"ولقد تكفَّلت النزعة المرابطيَّةُ بمَدِّهِ بتلك التَّعِلاّت مقابل ثمن منخفض أو مرتفع لِتَصْرِفَه عن ماضيه، وحاضره، ومستقبله،ثُمَّ ضاعف الاستعمار من خطورة هذه الوضعية، جاعلاً من الإنسان مجرد (شيءٍ) من جملة أشيائه، كما جعل من النزعة المرابطية جهازاً للإرسال مُضْطَلِعاً بإيصال توجيهاته إلى الشعب، بعد تحويلها إلى دوافع جديدة مطابقة لِمَرامِه"[1]. و هكذا قدم مالك بن نبي بيانا شاملا للخلل العقدي الحاصل الذي شجعته السياسة الاستعمارية و فرضته بعض الطرق الصوفية بشكل مباشر أو غير مباشر .

4:2-2- **مستوى الفكر** :لقد بين مالك بن نبي الكثير من مظاهر الخلل التي تحول دون بلوغ الفكر غايته في الفعل الحضاري كالخطأ في تحديد المفاهيم ، أو عدم ربط الأفكار بالطرق الصحيحة مما يعبر عنه باختلال المناهج المنطقية .[2]و كذا النظرة التجزيئية للظواهر –انعدام النظرة السببية في تحليل المشكلات – الترتيب المنطقي للأفكار –المواقف الحدية المتطرفة –نزعة المدح في النفس –فشو التقليد طغيان العاطفة .

4:2-3- مستوى العمل :يوضح مالك بن نبي مظهرا من مظاهر الخلل في التوجه الحضاري ،و هو اللافعالية في الأعمال التي يذهب جزء كبير منها في العبث و المحاولات غير المجدية ، و يرجع سببها الأصيل إلى افتقاد الضابط الذي يربط بين الأشياء ووسائلها و بين الأشياء و أهدافها ،يقول :"فسياستنا

[1]- بن نبي ،مالك،القضايا الكبرى ،1991، ،ص33

[2]-بن نبي مالك ، تأملات،1979 ،ص23

تجهل الوسائل و ثقافتنا لا تعرف مثلها العليا وفكرتنا لا تعرف التحقيق الأمر الذي يتعارض مع السلوك الاسلامي ومبادئ القرآن التي بات جليا أننا بدل أن نعيش طبقا لهاته المبادئ نتكلم تبعا لها فحسب"[1] ،فلكل نشاط عملي علاقة بالفكر، فمتى انعدمت هذه العلاقة عمي النشاط واضطرب، وأصبح جهداً بلا دافع، وكذلك الأمر حين يصاب الفكر أو ينعدم، فإن النشاط يصبح مختلاً مستحيلاً، وعندئذ يكون تقديرنا للأشياء تقديراً ذاتياً، هو في عرف الحقيقة خيانة لطبيعتها، وغمط لأهميتها، سواء كان غلواً في تقويمها أم حطّاً من قيمتها[2].

4:3– بناء التوجهات المستقبلية :بعد البيان المجمل للتحديات الراهنة التي شكلت و لاتزال عقبة كؤود ، أمام التطلعات المستقبلية الي يفرضها منطق الفكر و الفعل و مقصد العمران و الاستخلاف و خاصية الشهادة على الأمم ،نوضح في جملة من الأسس قواعد البناء الاستشرافي التي ترتبط ارتباطا وثيقا بالدور الحضاري للأمة حيث لا مكان لفلسفة القصور و الركود.

4:3–1 –الأساس العقدي:يرى صاحب شروط النهضة أن كل ما يغير النفس يغير المجتمع ،و من المعلوم أن أعظم التغيرات و أعمقها في النفس الانسانية قد وقعت في مراحل التاريخ مع ازدهار فكرة دينية.

. حيث يرتبط الوازع الديني بعنصر الفاعلية الفردية و الجماعية ذلك أن "أسمى المسوغات هي التي تهبط من السماء قال تعالى "**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**" ،الذاريات ،56،شريطة أن نفهم هذا المسوغ السماوي بمعناه التاريخي الذي أنار آفاق الانسانية بنور الحضارة الاسلامية ، لأن الاسلام أتى بالمسوغات الكفيلة بتحقيق أقصى ما يمكن من التوتر في الطاقات الاجتماعية و أسمى ما يمكن من المصلحة التي تجسدها تلك الطاقات "[3]فدور العنصر الديني بوصفه عامل تنظيم نفسي دور رئيسي، لأنه

---

[1]–بن نبي ،مالك ،مشكلة الثقافة ،1984 ،ص87.

[2]–بن نبي ،مالك،وجهة العالم الإسلامي ، 2012 ،ص88

[3]–بن نبي ، مالك ،تأملات ص49.

يتدخل في تكوين الطاقة النفسية الأساسية لدى الفرد، وفي تنظيم الطاقة الحيوية الواقعة في تصرفه، ثم في توجيه هذه الطاقة تبعاً لمقتضيات النشاط الخاص به داخل المجتمع، تبعاً للنشاط المشترك الذي يؤديه المجتمع في التاريخ[1].

و عليه فإن القصور الناشئ في الفعل و الارادة هو في الحقيقة قصور في تنزيل التصور العقدي باعتبار الغاية و باعتبار علاقة الانسان بالكون و الحياة ، و تتمثل مظاهره في إبعاد التوحيد عن المركز ،قصور الرؤية عن غاية الحياة ،ضعف الصلة بالكون .

4:3-2 -الأساس النفسي : ويمكن أن نؤكد من خلاله على أمرين لهما تعلق شديد بالتوجه المستقبلي:

-الدافع الحضاري :

يعتبر الأساس النفسي من أهم عوامل بناء التوجهات المستقبلية ذلك أن الانسان كما يرى مالك بن نبي بين قوتين قوة سلبية ترجعه إلى الوراء باستغلالها طبيعة الاستقرار لدى الانسان و قوة ايجابية تدفعه إلى الأمام لتحقيق مستقبله فينبغي ألا تضعف القوة الايجابية فينا عن الوصول إلى الحضارة [2]

إن علة ارتخاء الدافع الحضاري هي خفوت التوتر لكونه طاقة فعالة ،تلك الطاقة التي تخفت في أوضاع الركود و تنمو في مراحل التوتر و القلق الاجتماعي لتصنع عنصر الفعالية حيث ينطلق الفرد الذي كان مكبلا بكساده لاستشعاره انفجارا ذاتيا يطلق طاقاته المكبلة[3] ،تلك الطاقات التي تغير موقعه و مكانته الحضارية شريطة تحقق المقومات الضرورية ،وعليه يتوقف الانجاز الحضاري من بين ما يتوقف على إرادة جماعية قوية تربط الأفراد جميعا و توجههم توجيها مشتركا نحو تحويل الأفكار و الخطط إلى واقع.و إذا تراخت الإرادة أو انهزمت ظلت الأفكار حبيسة الأذهان أو ظهرت إلى الواقع ظهورا فاترا ضعيفا ومن ثمة يعبر الخلل الإرادي عن خفوت العلاقة التفاعلية بين النفس و المبادئ.

---

[1]-بن نبي ،مالك ،ميلاد مجتمع ،ص70-72

[2]-بن نبي ،مالك ،تأملات ص30.

[3]-المرجع نفسه ،ص136.

-الابتعاد عن فكرة الاستحالة المميتة و الاستسهال الموهن :

ذلك أن فكرة المستحيل تقتل إرادة التغيير و في ذلك يقول "إن أول أبواب الحضارة أن نواجه المشكلات مستبشرين لا متشائمين ، فإذا ما واجهنا الأمور متشائمين ،فقد أصبحت في حكم الاستحالة و العبث أن نفكر بأننا نستطيع التغلب على المستحيل "وكذلك منطق [1]التساهل الذي يصور لنا تفاهة المشكلات و التحديات مما يوهن دائرة الفكر و العمل عن تجاوزها .

4:3-3 -الأساس المعرفي :يقول العلامة مالك بن نبي "و لكن المستقبل هدف بعيد فلا بد من طرق واضحة ودفعات قوية لكي يدرك هدفه "[2]ومن أهم الأسس المعرفية لهاته الرؤية الارتفاع بالفكرة إلى الأحداث الانسانية و التعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات باعتبار المعاصرة منها و القديمة و المستقبلة عناصر في الملحمة الانسانية [3]،وعليه يقوم هذا الأساس على ضرورة فهم واقع الحقبة التاريخية التي نحياها والتعديل الذي ينبغي أن يضاف إليه .

و ذلك من خلال جملة من الأمور :

-تشخيص الغاية تشخيصا صحيحا ،ذلك أن كل حركة تفقد غايتها شأنها التيه في السبل و التبذير في الوسائل و الخطأ في الهدف -تشخيص المشكلات الاجتماعية تشخيصا صحيحا و ذلك من خلال النظر إلى المشكلات لا بطريق عاداتنا الفكرية و رواسبنا السلبية و إنما بالانفتاح على العوامل النفسية [4]-تحديد الوسائل بما يتفق مع الغاية المنشودة.

-فقه متطلبات الريادة و الفاعلية في عملية التوجيه الحضاري العالمي :و دلك من خلال فقه النفس و فقه اللآخر فقها صحيحا خاليا من شوائب التعالي و السطحية و التعريف بالرسالة خالصة نقية من خلال الاقناع الناشئ عن الاقتناع ،يقول مالك بن نبي :"الاقتناع أولاً لأن فاقد الشيء لا يعطيه، فلا يمكن

[1]-بن نبي ،مالك ،تأملات ،ص30.
[2]-بن نبي مالك ،شروط النهضة ،ص19
[3]-المرجع نفسه ،ص26.
[4]-بن نبي ،تأملات 188-189

للمسلم إن لم يقتنع بأن له رسالة أن يبلغ الآخرين هذه الرسالة، أو فحوى هذه الرسالة أو مفعول هذه الرسالة. إذن يجب أن يقتنع هو أولاً. وأنا أعني قناعته برسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين"[1]

4:3-4-التوجيه المنهجي و التخطيط الدقيق :

وتظهر أهمية التوجيه في توافق السير ووحدة الهدف و الاقتصاد في الجهد و الوقت فهناك ملايين السواعد العاملة و العقول المفكرة في البلاد الاسلامية صالحة لأن تستخدم في كل وقت و الأهم إدارة الجهاز في أحسن ظروفه الزمنية والانتاجية فكم من طاقات أهدرت لغياب التوجيه [2].

و التوجيه السليم هو الذي ينبع من النظرة الواقعية الشمولية للواقع الاسلامي حيث يقول :"لا يجوز لأحد أن يضع الحلول و المناهج مغفلا مكان أمته ومركزها بل يجب عليه توجيه أفكاره وعواطفه و أقواله و خطواته مع ما تقتضيه المرحلة التي فيها أمته "[3]

و للتوجيه محوران محور داخلي مبني على توجيه العلاقات الفردية والجماعية ومحور خارجي يعبر عنه بأنه"توجيه الطاقات الاجتماعية لتحقيق بناء المجتمع في الداخل و تحقيق مكانة في الخارج"[4] ومن أهم شروط نجاعة التوجيه ،أصالة المشروع الحضاري ،والابتعاد عن استعارة المشاريع الجاهزة التي لا تأخذ بعين الاعتبار العامل النفسي والامكانيات المتاحة و التي تحكم على هذه المشاريع بالفشل .

و يترتب على هذا أن العلاج الجذري ليس في مواجهة هذه المشكلات بوسائل جاهزة أنتجتها حضارة أخرى ...بل لا بد من مواجهتها بإنشاء حضارة توظف الطاقات الاجتماعية الموجودة مهما كانت الظروف و تنشئ تدريجيا وسائلها الفنية بقدر ما تتخلص من رواسب و معوقات ما قبل الحضارة [5]

---

[1]-المرجع نفسه ص51.

[2]-بن نبي ،مشكلة الثقافة ،ص67.

[3]-بن نبي ،تأملات ،ص25

[4]-المرجع نفسه

[5]-ينظر بن نبي ،مالك ،تأملات ،ص55-ص62.

4:3-5-النقد الذاتي :يعتبر النقد الذاتي أهم عوامل توجيه البناء المستقبلي ،ذلك أنه يمنحنا التغذية الراجعة الضرورية للوقوف على مدى نجاعة الاختيارات و المناهج المتبعة ،على الصعيد العملي و الفكري ،و كذا متطلبات التحسين و التصحيح ،بعيدا عن منطق الاطناب في المدح و الإغراق في التسامي ،

و يؤكد مالك بن نبي على ضرورة هاته الآلية بعد الاستقلال ،ذلك أن منجزات الثورة مهما كانت عظيمة ،إلا أن التحديات التي تتطلبها المرحلة أكبر ،بعد تغير معالم الهيمنة السياسية و الاقتصادية للقوى العالمية

و تزايد التحديات الراهنة و المستقبلية و قريب من هذا المعنى يقول :" ينبغي أن ينشأ علم اجتماع خاص بمرحلة الاستقلال، ليكون بين أيدي من يشرف على أجهزة الدولة أداة رقابة لا ينفصل عن جهاز التخطيط. ولا شك في أن دراسات لهذه الحالات المرضية، ستكون أنفع للوطن من أدب الإطناب والتمجيد وإذا كان يهمنا أن نعرف إلى أي درجة ينبغي أن يكون الأمر حسنا، فإنه يهمنا أكثر أن نعرف إلى أي درجة يتطلب تحسين الأمور،للكشف عن العراقيل والمعوقات التي ربما عرقلت الإنجاز والتنفيذ

و ينبغي أن يكون هذا النهج شاملا، أي أن يتناول الإحصاء والتفسير، أو بعبارة أخرى ينبغي أن يعنى بالكشف عن الحالة الشاذة من ناحية، وأن يدرس مصدرها أو تاريخها من ناحية أخرى".[1]

4:3-6-الأساس الاجتماعي :(**شبكة العلاقات التفاعلية بين الفرد و المجتمع**) يرى مالك بن نبي أن المجتمع ليس مجرد كمية من الأفراد، وإنما هو اشتراك هؤلاء الأفراد في اتجاه واحد، من أجل القيام بوظيفة معينة ذات غاية، كما أن عمل المجتمع ليس مجرد اتفاق (عفوي) بين الأشخاص والأفكار والأشياء، بل هو تركيب هذه العوالم الاجتماعية الثلاثة، التركيب الذي يحقق معه ناتجُ هذا التركيب في اتجاهه وفي مداه (تغييرَ) وجوه الحياة، أو بمعنى أصح: تطور هذا المجتمع.[2]ذلك أن الطاقات الاجتماعية تنبع من الفرد و تعود إليه فالفرد الصالح عندما يشارك في بناء المجتمع فإن عمله يعود إليه في صورة ضمانات اجتماعية

[1]-بن نبي ،مالك ،بين الرشاد و التيه ،مالك بن نبي ، 1978،ص41-43.
[2]-بن نبي ،مالك ،ميلاد مجتمع ،1986،ص25.

تكفل له توجيه طاقاته الفردية .[1]مثل هذا التوجيه يرتبط ارتباطا وثيقا بالفاعلية الفردية و الجماعية و التي يعبر عنها مالك بن نبي بأنها "كل طاقة اجتماعية تصدر حتما من دوافع القلب ومن مسوغات و توجيهات العقل ، ومن حركات الأعضاء فكل نشاط اجتماعي مركب من هذه العناصر ة بالفاعلية تكون أكبر في الوسط الذي ينتج أقوى الدوافع و أقوى التوجيهات

و أنشط الحركات [2]والمعلوم أن أول عمل يؤديه مجمتع معين في طريق تغيير نفسه مشروط باكتمال هذه الشبكة من العلاقات. وعلى هذا نستطيع أن نقرر أن شبكة العلاقات هي العمل التاريخي الأول الذي يقوم به المجتمع ساعة ميلاد ..يقول في ذلك :" ومن أجل ذلك كان أول عمل قام به المجتمع الإسلامي هو الميثاق الذي يربط بين الأنصار والمهاجرين. وكانت الهجرة نقطة البداية في التاريخ الإسلامي، لا لأنها تتفق مع عمل شخصي قام به النبي – صلى الله عليه وسلم –، ولكن لأنها تتفق مع أول عمل قام به المجتمع الإسلامي، أي مع تكوين شبكة علاقاته الاجتماعية، حتى قبل أن تتكون تكوناً واضحاً عوالمه الاجتماعية الثلاثة".[3]و من ثمة فإن التغييرات التي تتم في كل أمة فيها لا يصح أن تعزى ابتداء إلى المادة أو العمل الحسي، وإنما تعزى إلى (العلاقات) التي تحول الشروط السابقة للظاهرة الاقتصادية ذاتها، حين توحد عناصرها في خلق حياة إنسانية منظمة، من أجل الاضطلاع ببعض الوظائف الاجتماعية، في نطاق (العمل المشترك) الذي يصنع التاريخ[4].

4:3–7–العلم و العمل : إن قيام أي تغيير يرصد الريادة في المستقبل و يعمل على تحسين الراهن منوط بتحويل الفكرة إلى حقيقة عاملة و مؤثرة و تنزيلها تنزيلا يضمن نجاعتها و استمرارها ،بعد الفحص

و المعالجة و التقويم ذلك أن منطق التكديس قد يتنافى مع الأهداف المرجوة ،فليست العبرة بكم الأفكار بقدر ما تشتد الحاجة إلى القويم منها و ما تحققت فيه شروط السلامة و القوة و الفاعلية .

[1]-تأملات ص25
[2]-المرجع نفسه ،ص38.
[3]-ميلاد مجتمع ،ص26
[4]-بن نبي ،مالك ،ميلاد مجتمع ،ص34

وقد تم هذا العمل في المجتمع الإسلامي الأول كما يقول مالك بن نبي متمثلا ،بفضل رعاية الفكرة القرآنية، لا على أنها مفاهيم تدرس وتعلم على يد فقهاء الشريعة، ولكن على أنها (حقيقة) عاملة مؤثرة، تجمع في نظامها مباشرة كل ما يقوم به الفرد من أعمال وإشارات، على ما جاء في حديث ابن عمر وحديث جندب رضي الله عنهما[1]: «لَقَدْ عِشْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرِنَا وَإِنَّ أَحْدَثَنَا يُؤْتَى الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ، وَتَنْزِلُ السُّورَةُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَتَعَلَّمُ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُوقَفَ عِنْدَهُ فِيهَا كَمَا تَعْلَمُونَ أَنْتُمُ الْقُرْآنَ» ، ثُمَّ قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ رِجَالًا يُؤْتَى أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ مَا يَدْرِي مَا أَمْرُهُ وَلَا زَاجِرُهُ، وَلَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يُوقَفَ عِنْدَهُ مِنْهُ يَنْثُرُهُ نَثْرَ الدَّقَلِ» . رواه الحاكم في مستدركه

و قال صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه.

5-النتائج : في ختام الدراسة نخلص إلى عمق الرؤية الاستشرافية في فكر مالك بن نبي ،باعتباره من اعلام الإصلاح في الجزائر الذين أسسوا لمنظومة إصلاحية قويمة تنطلق من فهم متكامل للمنظومة السننية و تبصر بالأحوال الفردية و الجماعية ،و متطلبات الفاعلية ابتداء بصحة الفكرة و انتهاء بنجاعة الاختيارات المنهجية و العملية التي تحقق الأهداف المستقبلية ،بعيدا عن العبثية في التخطيط و الارتجال في البناء ،و النظرة التجزيئية للمشكلات و الحلول .ويمكن أن نجمل النتائج المتوصل إليها فيما يلي :

- الرؤية الاستشرافية في الخطاب الاصلاحي ، هي التصور الذي يحمله الخطاب للمستقبل ،وتتضمن توقعات يحتمل حدوثها كاستمرار للحركة التي تحكم الواقع القائم ، و بدائل وخيارات ،و آمال يجري التطلع لتحقيقها بالممارسة العملية.

-تتمثل أهمية الرؤية الاستشرافية في توصيف الواقع و طلب ما يصلح لإقامة اعوجاجه و استشفاف المستقبل وفهم طبيعة الأحداث التي يمكن أن يحملها، متى توافرت القرائن والمقدمات التي يمكن الاستدلال من خلالها على مثل تلك الأحداث.

[1]-المرجع نفسه ،ص106

-ان المتتبع لكتابات مالك بن نبي لا بد أنه سيقف على رؤية مجاوزة تعالج الراهن بعين النقد و الفكر و التبصر ،و تتطلع إلى الآتي بفقه لتحدياته و ضروراته ،و يمكن أن نجمل الأسس التي قامت عليها مثل هذه الرؤية في :التفسير الصحيح للأحداث التاريخية ،فقه الواقع ،بناء التوجهات المستقبلية على هدي من ترسيخ الاعتقاد الصحيح الذي يبعث في النفس دوافع البناء و العمران ،و المعرفة الحقة بمتطلبات البناء و الاعداد النفسي و الاجتماعي لهذا الدور الحضاري و كذا النقد و التقويم .

6:قائمة المصادر و المراجع:

-ابن باديس ،عبد الحميد ،1995،مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ،ط1.

-بوصبيعات ،أحمد ،2011-2012،مقاصد الخطاب القرآني في الوقف و الابتداء ،رسالة دكتوراة ، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان .

-الجرجاني ، الشريف ،التعريفات ،(د.ت)، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي ،بيروت ، دار النفائس .

-الخواجا ،عبد الفتاح ،2001 ،مستقبل التعليم الحديث ،مؤسسة الرسالة ،بيروت .

-الدجاني ،الدراسات المستقبلية وخصائص المنهج الاسلامي ،بيروت ،دار الفلاح ،االمركز الاسلامي للدراسات المستقبلية ،سنة2001 ،العدد2 .

-زاهر ،ضياء الدين ،2004،مقدمة في الدراسات المستقبلية ،مصر ،مركز الكتاب للنشر ،ط1 .

-زريق ،قسطنطين ، 1977،نحن و المستقبل ،بيروت ،دار العلم للملايين ،ط1

-الشهري ،عبد الهادي ،2004،استراتتجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، بيروت ، دار الكتاب الجديد ، ط1.

-فارس،طه ،2014،أثر الاستشراف و التخطيط المستقبلي في العلم و التعليم في ضوء السنة النبوية ،ط1 ،مؤسسة الريان .

-بن فارس ، أحمد ،1979،معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ،دار الفكر .

-الكفوي ، أبو البقاء ،2011،الكليات ، تحقيق عدنان درويش ، ومحمد المصري ،مؤسسة الرسالة ، بيروت ،ط2 .

-كورنيش أادوارد ،2007،الاستشراف مناهج استكشاف المستقبل ،ترجمة حسن الشريف ،الدار العربية للعلوم ،ط1 .بيروت.

-لوصيف ،عمار ،2015،الدراسات الاستشرافية مقاربة مفاهيمية ،مجلة العلوم الإنسانية ،عدد44 ،ديسمبر.

-ابن منظور ،جمال الدين ، 1414هـ لسان العرب ،دار صادر،بيروت.

-بن نبي ،مالك ،1991 ،القضايا الكبرى ، دار الفكر المعاصر ،ط1 . بيروت .

---------بين الرشاد و التيه، 1978، دار الفكر ، ط1 . دمشق .

-------تأملات ،1979، دار الفكر المعاصر ،ط1. بيروت .

-------شروط النهضة ،1986 ، دار الفكر ،،دمشق.

------مشكلة الثقافة ،1984، دار الفكر ،بيروت .

--------مظاهر الغزو الثقافي ،1986،ترجمة عبد الصبور شاهين ، مكتبة الأسد. دمشق .

-------وجهة العالم الإسلامي ،2012، مكتبة الأسد. دمشق .